آليات التفكير النقدي وأسسه المنهجية عند مصطفى ولد يوسف: دراسة في كتابه "في نقد متخيل الاختزال السردي (من القصة القصيرة إلى القصة القصيرة جدا)"

The Mechanisms of Critical Thinking and Its Methodological Foundations in Mustapha OuledYoucef Thought: A Study of his Book "On the Critique of the Imaginary of NarrativeReduction (From the Short Story to the Very Short Story)"

مليكة عزيزي*

جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة- الجزائر m.azizi@univ-bouira.dz

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2025-03-01	2026-06-29	2026-06-30

ملخّص: تحاول هذه الدّراسة تحري التّفكير النّقدي بوصفه مجالا عبر تخصصي في فكر النّاقد مصطفى ولد يوسف، وذلك برصد آلياته وأسسه المنهجية في كتابه: " في نقد متخيل الاختزال السّردي (من القصّة القصيرة إلى القصّة القصيرة جدا)"؛ وتندرج في نقد النقد الأدبي الذي يقتضي مراجعة هذا النصّ النّقدي ومساءلته بالكشف عن مدى التزامه بالمعايير المتعارف عليها من جهة؛ ومن جهة أخرى قياس القدرة على التّفكير النّقدي كمهارة من المهارات العقلية العليا وكعمليّة ذهنية معقّدة تتطلب امتلاك عدة مهارات فرعية: كالتّحليل والتّفسير والمقارنة والاستدلال والاستنتاج والحكم...حيث تعمل كل هذه المهارات الفرعية مجتمعة بشكل مترابط ومتكاثف لتحقيق التّفكير النّقدي النّوعي.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن إستراتيجية التّفكير وآلياته عند هذا النّاقد، وأدواته الإجرائية والمنهجية في ظلّ التراكم المعرفي الراهن، وكذا التحديات والرهانات المستقبلية المستجدة في العالم تفكيريا ونقديا.

كلمات مفتاحيّة: التّفكير النّقدي؛ المتخيّل؛ الاختزال السّردي؛ القصّة القصيرة؛ القصّة القصيرة جدا.

---

* المؤلف المرسل

Abstract: This study attempts to explore critical thinking as an interdisciplinary field in the critic's thought of Mustafa OuledYoucef through his book "On the Critique of Narrative Reduction Imaginary (Frome the Short Story to Very Short Story). It falls under literary criticism that requires a critical review of this critical text, examining to what extent it adheres to recognized standards on one hand, and on the other hand, assessing the capacity for critical thinking as a higher mental skill and a complex cognitive process requiring various sub-skills such as analysis, interpretation, comparison, reasoning ,inference, and judgment. These sub-skills work together in an interconnected and intensified manner to achieve qualitative critical thinking.

This research aims to revealing the thinking strategy and its mechanisms employed by this critic, as well as its procedural and methodological foundations, in light of the current cognitive accumulation, in addition to the emerging future challenges and stakes in the intellectual and critical world.

Keywords: Critical Thinking; Imaginary; Narrative Reduction ;Short Story; Very Short Story.

1-المقدّمة: إنّ التّفكير النّقدي مهارة من المهارات العقلية الأساسية التي تمكّن الفرد من معالجة المعلومات والأفكار بتحليلها، ونقدها بشكل موضوعي ومنهجي، بغية الوصول إلى فهم أعمق، واتخاذ قرارت وأحكام صائبة في عصر التدفق المعرفي وسرعة انتشار المعلومات؛ وهو ما يؤكد على ضرورة امتلاك هذه القدرة وعدم الاستغناء عنها، للتّمييز بين الحقائق والآراء وتقييم الحجج بموضوعية تامّة، فهو ليس مجرّد أداة أكاديمية، بل يتعداه إلى كونه مهارة حياتية بكل جوانبها العلميّة والتّعليمية والشّخصية.

تحرينا في هذا المقال البحث عن مواطن التّفكير النّقدي عند النّاقد "مصطفى ولد يوسف" في كتابه النّقدي "في نقد متخيل الاختزال السّردي (من القصّة القصيرة إلى القصّة القصيرة جدا)"، ومن هنا تبلورت لدينا الإشكالية الآتية:

كيف تتجلى آليات التّفكير النّقدي عند النّاقد "مصطفى ولد يوسف"؟ وكيف أسسّت للمعايير التي يستند إليها؟

سنتطرق في هذا المقال إلى مفهوم التّفكير النّقدي بوصفه مهارة من مهارات التّفكير العليا، وعلاقته بالنّقد ونقد النّقد الأدبي، وكيفية اشتغال آلياته واستراتيجياته في هذا النصّ النّقدي نظريا وتطبيقيا.

2-التّفكير النّقدي التنظيري:

1.2 في مفهوم التّفكير النّقدي وعلاقته بالنّقد ونقد النّقد الأدبي:

ظهر التّفكير النّقدي أوّل ما ظهر في الفلسفة اليونانية القديمة، حيث كان الفلاسفة:"سقراط" (SOCRATES) و"أفلاطون"(PLATO) و"أرسطو"(ARISTOTLE) من الأوائل الذين اهتموا بالتّفكير النّقدي وتطوير هذه المهارة، واعتمد "سقراط" أسلوب (الحوار السقراطي) لتشجيع الأفراد على التّفكير بشكل نقدي.

ويمكننا تحري كلمة "نقد" في المعاجم والقواميس العربيّة، فنجد أنّها وردت في معجم "لسان العرب" لابن منظور: «...والنقد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، ونقد الدراهم ينقدها نقدا: ميز جيدها من رديئها...وناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر»[1]. يتضح من هذا القول أن النّقد في معناه الأصلي كان يرتكز على الفحص والتّمييز والتّقويم. أما في "القاموس المحيط" للفيروز آبادي فإنّ:«النقد: خلاف النسيئة، وتمييز الدراهم وغيرها، كالتنقاد والانتقاد والتنقد، وإعطاء النقد...»[2]؛ وعند دمج الدلالتين نجد أنّ النقد بمفهومه القديم يعني إعمال العقل والنّظر في الأفكار والنّصوص لتمييز صحيحها من سقيمها وكشف عيوبه بناء على معايير واضحة ومحدّدة.

رغم ذلك لم يستخدم المصطلح بشكل رسمي إلّا في بداية القرن العشرين، إذ كانت هناك إشارات مبكّرة إلى هذا المجال في كتابات لباحثين أمثال: "جون ديوي (JOHN DEWEY) الذي كان أستاذا للفلسفة بجامعة "كولومبيا" آنذاك، حيث وصفه بالتّفكير التأملي ويقصد به التّفكير العميق بقوله: «...إنّ التفكير التأملي يتضمن النّظر الفعّال، المستمر، والدّقيق في أي معتقد أو شكل مفترض من المعرفة، في ضوء الأسس التي تدعمه، والاستنتاجات المستقبلية التي يمكن أن يؤدي إليها»[3]. وركّز على أهميّة التّفكير

النّقدي في التّعليم، ثم استخدم المصطلح بشكل أكبر بعد ذلك وأصبح أكثر شيوعا في الخمسينيات، وتم توظيفه في المناهج التّعليمية وتناقلته المنظمات العلمية الأكاديمية. وبعدها بدأت محاولات تحديد المفهوم وحصره من قبل العديد من الباحثين من مختلف المجالات، وحظي مفهوم "أونيس"(ENNIS) سنة 1962 باهتمام واسع في الأدبيات الفكرية والنّقدية والذي يعني أنّه:«تفكير موضوعي متصفح يكون التّركيز فيه حول تقرير ما يجب اعتقاده وما يجب فعله»[4].وهذا ما يظهر في النشاط الذّهني للفرد بمختلف مهاراته العقلية المتمثّلة في:التّحليل والاستدلال والمقارنة والاستنتاج واتخاذ القرارات، كما أنّ التّفكير النّقدي عمليّة فكرية تعتمد على القدرات الذّهنية للفرد وهي سيرورة فكرية مستمرة إلى مابعد التّعليم العالي وتستثمر في كل مجالات الحياة كصورة من صور المواطنة الفعّالة.

وتجدر الإشارة أنّ هذه الدّراسة تدخل في إطار نقد النّقد، وهذا الأخير من صميم التّفكير النّقدي الذي يثبت وجود التّفكير النّقدي في الأدب وفي النّقد على حد سواء، حتى إن الاختبارات المصمّمة من قبل باحثين مهتمين بهذا النّوع من التّفكير يمكن تعميمها وتطبيقها على المجال الأدبي الذي لا يخلو من التّفكير النّقدي وهو ما يثبته التراكم النّقدي والمعرفي منذ أرسطو إلى وقتنا الحالي.

يعتبر نقد النّقد الأدبي ممارسة نقدية موازية للنّقد الأدبي، حيث ارتبط ظهوره بظهور النّقد الأدبي، ويعود ذلك إلى "أرسطو" في كتابه "فن الشعر"؛ ويمكننا الاستدلال بنص له في هذا الصدد، أين يطبق "أرسطو" منطق الجدل على النّقد الأدبي، ويعلّم الناقد كيفية التأكد من صحة اعتراضه قبل إطلاقه، حيث يقول:« أما فيما يتعلق بما يقال عنه إنّه متناقض، فينبغي لنا أن ننظر فيه كما ننظر في تفنيد الخصم في الجدل: هل الشيء نفسه هو هو، وبالنسبة إلى الشيء نفسه، وفي الأخير المعنى نفسه»[5]، وهذا هو جوهر نقد النّقد؛ ويعدّ من الاستراتيجيات والآليات النّقدية الحديثة التي سايرت

تطوّر النّقد في العالم بعد التراكم المعرفي والنّقدي الحاصل في مابعد الحداثة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن "تودوروف" TODOROV (TZVETAN) أوّل من وضع المصطلح في الثّقافة الغربية وذلك في كتابه "نقد النّقد"، حيث يقول في هذا الصدد: «إن موضوع هذا الكتاب ليس الأدب، بل هو الخطاب حول الأدب. لا يعني ذلك أن نستطيع التحدث عن أحدهما دون الآخر: ولكن التركيز يمكن أن ينصب هنا أو هناك. ويمكننا تسمية هذا المشروع نقد النّقد»[6]. من هنا انتقل "تودوروف" من البنيوية اللسانية إلى النقد الحواري؛ وما إن ظهر هذا المصطلح حتى بدأ النقاش يتوسع، ويحتد حوله في الأوساط النّقدية والأكاديمية في مسألة تأطيره في نظرية تقنن استراتيجياته، وآليات اشتغاله في النصوص النّقدية. لمّا انتقل هذا المفهوم إلى الثّقافة العربيّة بدأ التّفكير في محاولة تأصيله، والبحث عن آليات اشتغاله في النصّ الذي أنتجه العقل العربي، خصوصا بعد الرّكام المعرفي الذي تكوّن إبستيمولوجيا عبر العصور التّاريخية. يعدّ "عبد العزيز حمودة" من أبرز النّقاد العرب الذين اشتغلوا على نقد النّقد حيث يقول:« لم تطرح الحداثة في الثّقافة العربيّة المعاصرة إلا ضمن إشكالية خاصة بها، فهي لم تكن صورة عن الحداثة الغربية، بل كانت محاولة عربية لصياغة الحداثة داخل مبنى ثقافي له خصوصياته التاريخية، ويعيش مشكلات نهضته، فجاءت الحداثة العربيّة حداثة نهضوية»[7].أي أنّ الحركة النّقدية العربيّة في محاولة استحداث حداثة خاصة بالثّقافة العربية لم تستورد الثّقافة الغربية وتقوم بعمليّة إسقاط، بل حاولت أن تنطلق من واقعها الإشكالي بكل خصوصياته التّاريخية والثّقافية...للوصول إلى حداثة عربية لها هويتها الخاصة بها؛ فهو بهذا يكون قد مارس نقد النّقد. كما حاول " الدغمومي" في كتابه "نقد النّقد وتنظير النّقد العربي المعاصر" تقديم مفهوم نقد النّقد إذ يقول: «...يمكننا أن نتحدّث عن نقد النّقد من خلال أربعة خطابات هي:1- خطاب التّعليم، 2- وخطاب التّأريخ، 3-وخطاب التّحقيق، 4- وخطاب التنظير، وهي خطابات في الواقع النّقدي العربي وغيره، ليس بينها حدود قاطعة وصارمة، بحيث نجد تداخلات وتقاطعات بحكم

أن المعرفة النّقدية تقتضي تنويع الإجراءات والمقاصد»[8]. نلاحظ هنا أنّ الدغمومي قد حدد وحصر منطلقات نقد النّقد وقسمها إلى أربعة خطابات، فخطاب التّعليم لتيسير النّقد للمتعلّم، وخطاب التّحقيق فيرتكز على فهم وإدراك آليات القراءة والتّأويل السّابقة، وخطاب التأريخ لفهم السياق التّاريخي، وخطاب التّنظير للتّأطير المعرفي.

لهذا سنعمد في هذه الدّراسة إلى نقد كتاب: "في نقد متخيل الاختزال السّردي– من القصّة القصيرة إلى القصّة القصيرة جدا" للكاتب "مصطفى ولد يوسف"[9]. أي أنّنا بهذا نمارس نقد النّقد ونربطه بالتّفكير النقدي الذي أشرنا إليه سابقا، وذلك بتطبيق مقياس من مقاييس أو اختبارات هذا التّفكير التي من بينها: اختبار واطسون جليسر 1964، اختبار كورنل1985، اختبار أنيس 1985، اختبار بول ريتشارد 1990، اختبار كاليفورنيا 1992، اختبار ليندا إيلدر، اختبار فاسيون...وكل اختبار من هذه الاختبارات يركّز على مهارات معيّنة في التّفكير النّقدي، ويلتقي ويختلف في مهارات أخرى؛ وهي مهارات كثيرة يمكن حصرها في مهارات أساسية عامة هي: التّفسير– التّحليل– المقارنة– التّقييم– الاستنتاج– التّفكير المنطقي؛ حيث قمنا باعتماد اختبار كاليفورنيا الذي يقيس المهارات الآتية: التّفسير– التّحليل– التّقييم–الاستدلال– الشّرح وتنظيم الذّات– المقارنة– الاستنتاج– التّفكير المنطقي– الإبداع (التّفكير خارج الصندوق)؛ واختبار(أونيسENNIS) الذي يعطي حريّة أكبر ويقيس عدد كبير من المهارات، التي من بينها تلك التي يقيسها اختبار كاليفورنيا؛ اختبار "واتسون جليسر"(WATSON GLASER)؛ بالإضافة إلى اختبار "فاسيون" (Facione) الذي يتميز باحتوائه على الإطار النّظري لتفكيك النصوص، ومن ثم استيعاب الافتراضات والتفسيرات داخل أي نص مكتوب من بينها النصّ الأدبي والنّقدي. يحدّد "فاسيون" التّفكير النّقدي بقوله أنّه: «جهد مستمر لفحص أي اعتقاد أو شكل مفترض من المعرفة في ضوء الدلائل التي تدعمه، والنتائج الأخرى التي يميل إليها»[10].

برز تقرير "دلفي" (Delphy Report) سنة 1990 بوصفه مشروعا رائدا أطلقته الرابطة الفلسفية الأمريكية (APA) بإشراف الباحث "بيتر فاسيون" (PETERFACIONE)، مع لجنة مكوّنة من46 خبيرا دوليا من مختلف التخصصات، بهدف توحيد الرؤى حول التّفكير النّقدي، حيث دامت الدّراسة البحثية لسنتين (1988-1989). يمثل هذا التقرير المنعرج الحاسم في تاريخ تطوّر مفهوم التّفكير النّقدي، ونقله من الإطار الفلسفي إلى القياس العلمي، حيث أسفر عن نتائج هامّة أهمها تلك المتعلقة بتحديد تعريف المفكّر النّاقد، إذ يقول "فايسون" في هذا السياق: «المفكّر النّاقد المثالي هو شخص جبل على حبّ الاستطلاع، واسع الاطلاع، يثق في العقل، منفتح الذّهن، مرن، منصف في التّقييم، صادق في مواجهة تحيّزاته الشّخصية، حذر في إصدار الأحكام، ولديه الرغبة في إعادة النّظر في آرائه»[11]. نجد هنا أنّ هذا التّعريف لم يقتصر على المهارات المعرفية فحسب، بل امتد ليشمل الأخلاق الفكرية والنزعات الوجدانية؛ فالإنصاف الفكري صفة من صفات المفكّر النّقدي التي لا تتحقّق إلا إذا كان هذا المفكّر متواضعا فكريا وأخلاقيا؛ كما يساعدنا التّفكير النّقدي على تحسين مستوى التّفكير وتحقيق الجودة المطلوبة. لهذا فإنّ التّفكير النّقدي يخضع إلى عمليّة التّوجيه، والانضباط، والرصد، والتّصحيح الذّاتي، وكذا مطابقته لمعايير الجودة الصارمة، بالإضافة إلى تمتعه بقدرات فعّالة مرنة في التواصل وحلّ المشكلات.

وإذا سلمنا بإمكانية تفكير الفرد في تفكيره، حينها سنجد أنفسنا أمام مفكّر مبتدئ لا يعدو أن يكون قد شرع في القيام بمهارات التّفكير النّقدي القاعدية التي تمارس بالمهارات العقلية الدنيا.هذه الأخيرة هي المرحلة الأهم لأنّها أساس التّفكير، وبالممارسة والتّفكير في التّفكير يرتقي المفكر في درجات التقدّم للوصول إلى التّفكير الجيّد.

2.2 فلسفة النقد والرؤية التنظيرية:

إنّ النّاقد ذو اتجاه حداثي حيث ينتمي إلى مدرسة النّقد الجديد الفرنسية، وفلسفته النّقدية استقاها من الفلسفة النقدية وتكمن في رؤيته التّنظيرية وخلفيته المعرفية حول الموضوع، وقد أولاها عناية خاصة من الطرح النّقدي كونها الأساس الذي ينبني عليه الموضوع قيد الدّراسة. لهذا سنقوم بمقاربة هذا النصّ النّقدي وفق آليات القراءة في نقد النقد ومقايستها بمدى تطابقها مع مهارات التّفكير النّقدي، وبذلك نكون في مجال متعدّد الاختصاصات؛ الذي يتطلب شجاعة من ممارسي التّفكير النّقدي ونقد النّقد، ليس فقط بسبب الصعوبة المعرفية ولكن لأنّ هذا النوّع من القراءة يجعلك تتموضع في وضعية مشكلة لا تسمح لك أن تكون متطرفا، ولا منحازا، ولا حتى متحفظا، حياديا في إصدار الأحكام النّقدية على الموضوع في الوقت ذاته. أو بالأحرى تجعلك تتمتع بكل صفات القراءة الحصيفة التي ترفعك إلى مستوى المهارات العليا في منظومة فهم متجاوب مرن، وتقدّمك في النهّاية بوصفك نموذجا للقارئ الحصيف، والمتميّز بكل صفات المفكّر النّقدي التي يجب أن يتصف بها الإنسان المعاصر لاسيما المتخصص في هذه الاختصاصات.

ومن هنا يكون الاشتغال على "المحمول النّقدي" ذاته، وذلك بمراجعته وتمحيصه وفحصه، بدءا بمراجعة مفاهيمه ومصطلحاته النّقدية، ومبادئه الأساسية وفرضياته التّفسيرية، وبنيته المنطقية بشكل عام وصولا إلى آليات قراءته التّأويلية وأدواته الإجرائية؛ وهو ما سنتعرض له في التّفكير النّقدي التّطبيقي.

أفرد النّاقد رؤيته النّقدية في هذا الكتاب للنصّ القصصي في قصصيته القصيرة والقصيرة جدا؛ وذلك بالوقوف على طرح المفاهيم الاصطلاحية غير الدّقيقة، أو تلك التي تجاوزها الدّرس النّقدي المعاصر، وكذا طرح كيفية تحديد قصصية النصّ القصصي.

كما استقصى بدوره بعض المفاهيم الأساسية التي تؤسس للنص الأقصوصي بمساءلة السّردية الوجيزة بتمظهراتها كافة، والتّركيز على التّطبيق الفعلي لبعض النماذج.

وقد وضح زاوية نظره التي حدّدت رؤيته النّقدية العامة، والشاملة التي تحمل طرحه الجديد والبديل في إطار أطروحات النّقد الجديد قائلا: «لا أرنو إلى تقديم استراتيجية نقدية في التعاطي مع المتن الأقصوصي، إنّما أنبه إلى ظهور كتابة غير تقليدية، تنتصر للجمالي والإيجاز، وصوت الفرد المعاصر في ظلّ غموض المشهد الحياتي للإنسان ككل»[12]. من الملاحظ أنّ النّاقد بنى رؤيته النّقدية على معاينته الشّخصية للرّاهن، والاعتماد على النتائج التي أفرزها النّقد المعاصر، والتي تنبني بدورها على صوت الفرد المعاصر في ظل ضبابية مشهد الحياة الرّاهن للإنسان بشكل عام؛ ويؤكّد موقفه النقدي بشكل صريح: «كما لم أحتكم في النماذج المنتقاة في هذه الدّراسة إلى النّصوص المشهورة، إنّما سلطت الضوء على سردية الحافات التي تكون أكثر تجربة وعمقا من السّردية المعروفة في الحقل النّقدي والإبداعي، لأنّ النّاقد الحقيقي هو الذي ينقب عن النصوص التي لم تأخذ حظها من الإعلام النّقدي، لا المهيمنة إعلاميا وأكاديميا»[13]. من هنا يظهر جليّا أنّ النّاقد اعتمد استراتيجية جديدة مقصودة في اختيار عينته التي سيطبق عليها لاحقا بغية تحديد قصصية النصّ القصصي في النماذج المختارة، التي آثر أن تكون بعيدة عن الأضواء الإعلامية النّقدية، والهيمنة الإعلامية والأكاديمية، أي "سردية الحافات" كما اصطلح على تسميتها؛ والتي تتمثّل في النّصوص التي تتموقع في دائرة نصوص المركز الحاضر المهيمن وفق جدلية المركز والهامش التي يغذّيها ويكرسّها الإعلام بشكل صارخ. نذكر على سبيل المثال لا الحصر قصصا قصيرة منشورة في مجلة " الرّاوي" منها نصّ لـ "محمد منصور آل فاضل" والموسوم" استرخاء"، ونصّان آخران لـ "فاطمة ناصر" الموسومان "دلو" و"غياب"، ونصّ"خبر" لـ "حسن الشحرة"، ونصّ لـ "رشيدة سعادة" بعنوان" مقهور حتى الموت".

يتضح ممّا سبق أنّ النّاقد قد أسس لطرحه النّقدي بأسس قوية ورؤية واضحة تصنع منها أرضية متينة تفتح المجال لنصوص أدبية مغمورة – قد تكون على قدر كبير من الجمالية والإيجاز القصصيين– في مقابل نصوص مهيمنة قد لا تكون دائما راقية وإنّما مجرّد نصوص دعائية وصناعة إعلامية. وهنا تكمن رؤية النّاقد في توخيه معايير نقدية أكثر انفتاحا وحداثة؛ وهذا في حد ذاته أولى وأهمّ نقاط القوة التي تحسب له، والتي لم تأت من العدم وإنما نتيجة تراكم معرفي ورؤية نقدية ثاقبة وشاملة لهذا الموضوع.

انطلق النّاقد من زاويته الخاصة في وضع خارطة ذهنية لطرحه النّقدي، بدءا بالعنوان الذي أتى محمّلا بكثافة دلالية واقتصاد لغوي يعكس اختزال الموضوع قيد الدّراسة. هذا لأنّه يتناول قضية متخيّل الاختزال السّردي والاختزال بشكل عام، فمن المنطقي أن يتوخى التّكثيف والاختزال في العنونة والطّرح رغم اتساع حدود البحث وعمق أفكاره وقضاياه؛ ثم صمم بعدها خطة محكمة تشمل وتحدّد مساره النّقدي، بدأها بمقدّمة مركزة جدا حمّلها همّه النّقدي تلتها ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل الموسوم بـ: مقولات المعرفة والمراجعة الاصطلاحية.

الفصل الثّاني الموسوم بـ: جغرافية الإبداع القصصي العربي والمغاربي وحداثة الخطاب الأقصوصي.

الفصل الثّالث الموسوم بـ: في تحليل النصّ الأقصوصي وفق آليات السيميوثقافي والسيكوموضوعاتي.

تمثّل هذه الفصول المحاور الكبرى لرؤيته النّقدية.،استوقفتنا هذه العناوين التي تمّ صياغتها وبناؤها بدقّة وعناية فائقتين، فعمليّة العنونة تعكس محطات مساره النّقدي، حيث مارست بشقيها الشكلي والمضموني وظيفتها العلميّة النّقدية والإغرائية في آن. هذا ليس بالغريب ولا المصادفة كون النّاقد روائي وقاص اعتاد على التلاعب بالكلمات

وسحر السّرد. كما أنّها حملت أهمّ المفاهيم والمصطلحات الموظفة في البحث، واستحدث مفاهيم ومصطلحات جديدة مثل: أدلجة الرغبة/ التقارؤ. بالإضافة إلى اللجوء إلى تقنية النّحت أو الدّمج بين المصطلحات خاصة أثناء اختياره للمناهج التي سيتمّ الاعتماد عليها في مقاربة النّصوص المختارة في المدونة كـ:السيميوثقافي (دمج بين المنهج السيميولوجي والمقاربة الثّقافية)، والسيكوموضوعاتي (دمج بين المنهج السيكولوجي والمنهج الموضوعاتي)؛ فالتفكير النّقدي التّنظيري طرحه في لغة اصطلاحية ومفاهيمية سايرت محدّدات التّفكير النّقدي وطابقته في: التّفسير والتّحليل الذي رافق طرحه النقدي برّمته، والمقارنة بين المفاهيم كالمقارنة بين القصّة القصيرة والقصّة القصيرة جدا، وفي التّقييم والاستنتاج بعد الاستدلال أثناء عرض الآراء والقضايا النّقدية. وكذا تقييم الحجج المقدّمة ومقارنتها بأفكار أخرى أو وجهات نظر متعارضة. وكل هذا مكّننا من تقييم طبيعة النصّ النّقدي وفهم كيفية تأثيره على القارئ.

3- التّفكير النّقدي التّطبيقي:

1.3الرؤية المنهجية: تبنى النّاقد المنهج السيميوثقافي والمنهج السيكوموضوعاتي في نقده للنّصوص الأدبية الأقصوصية، وهذه الرّؤية المنهجية تنسجم مع الأصول والمنطلقات التي انطلق منها؛ حيث سعى إلى الالتزام بها في النّقد التّطبيقي أين قام بوصف وبتشريح النصوص وفق آليات المناهج النقدية المعتمدة[14]؛ وهذا ناتج عن التراكم المعرفي للنّاقد وتأمله للواقع الإبداعي عامة والمنجز القصصي بالخصوص، لاسيما المنجز القصصي الجزائري. كما ارتكز على أسئلة نصّ الحداثة وما بعد الحداثة، والكولونيالية وما بعد الكولونيالية، وثنائيات المركز/الهامش، الذكورة/الأنوثة، التّاريخ/المتخيّل...، حيث كانت الإحداثيات التي وجهت النصّ النّقدي عنده في شبكة علاقات تضاد وتقابل يستنتج منها أحكامه النقدية بتطبيق المقايسة النّقدية[15] التي تتحقق فعليا بإسقاط الأحكام النّقدية المجرّدة نظريا على المحمول الإبداعي المتمثّل في واقع الكتابة الإبداعية القصصية بشقيها القصير والقصير جدا.

2.3 الممارسة النّقدية: قام الناقد بتحديد المدوّنة تحديدا موافقا لهدفه من كتابة نصّه النّقدي، حيث اختار عيّنة من المتون الأدبية الجزائرية والعربيّة وفق جغرافيا الكتابة الخاصة بها. ومن هنا يتضح التّفكير النّقدي للكاتب، فهو يفكّر بخرائط ذهنية تقسم المتن المدروس حسب انتمائها الهوّياتي[16]، وهو ما لا يمكن أن يتحقّق إلّا بالانتماء التّاريخي والجغرافي المفضي إلى التميّز والتفرّد الإبداعي؛ فاختار من الجزائر–على سبيل المثال لا الحصر– قصّة "مقهور حتى الموت" للقاصّة "رشيدة سعادة"، "بهية" للقاص "مرزاق بقطاش"، "آخر العمر" للقاص "محمد دلومي"، "السقوط من المسافات البعيدة" للقاصّة "سهام بوخروف"...ومن المغرب: "بيوت واطئة" للقاص "محمد زفزاف"، "أوصال الشجر المقطوعة" للقاص "محمد شكري"...ومن تونس"نوافذ الزمن" للقاص "محمود طرشونة"...، بعض هذه القصص أشار لها النّاقد في النّظري، لكن لم يخصصها للجانب التّطبيقي.

أفرد للجانب التّطبيقي القصص الآتية: من الجزائر"بهية" للقاص "مرزاق بقطاش" في تحليله للذكورة وسؤال الكولونيالية ضمن التّعامل الراديكالي للآخر المستباح بشكل صارخ، وهو ما يتنافى مع حقوق الإنسان، ومن ثم يتنازل الإنسان عن كرامته مقابل حياته، وتتنازل المرأة عن كرامتها كذلك مقابل حمايتها وإخضاعها للوصاية الأبوية. "القرابين" للقاص "عيسى شريط" وبالتّحديد في القصّة الفرعية منها "شبح الباب الصغير"، التي ينتقد فيها تيمة غياب المواطنة الأنثوية في ظلّ هيمنة حضور المجتمع الذكوري. "فرسان الفجر الأخير" للقاص "جيلالي خلاص" في مساءلة التّاريخ، "ديدان آخر الليل" للقاص "عبد القادر برغوث"[17]؛ ومن المغرب: "الجثة الغريبة" للقاص "محمد شكري" لشرح سردية الإشهار وموت الإنسان التي تمّ تبنيها في هذه القصّة القصيرة[18].إلاّ أنّه لم يوسع دائرة النّقد إلى بلدان مغاربية أخرى (ليبيا، الصحراء الغربية، موريتانيا)، وهذا من المآخذ التي تحسب عليه.

إنّ استراتيجية النّاقد في نقده لهذا المنجز القصصي بشقّيه تكمن في القراءة العميقة لتلك النصوص وتأويلها حسب سياقها الثّقافي والاجتماعي والتّاريخي الذي أنتجها، حيث إنّ السياق لا يمكن فهمه إلاّ بفهم العصر الذي أنتجه ومن ثم ينتج خطابا نقديا عليها. كما قام بتوظيف مهارة المقارنة، وذلك بمقارنة بعض النّصوص فيما بينها، تلك التي تتقاطع في التقنيات والمضامين، وأثناء مقارنة القصّة الجزائرية بالمغربية خرج بحكم نقدي مفاده تفوّق القصّة المغربية على الجزائرية بعيدا عن الشوفينية التي تمجد التعصّب الذّاتي وتقصي الآخر، وذلك في قوله:«... لينتهي بالنصّ الأقصوصي المغربي إلى التّجريب، وهو أكثر عمقا مقارنة بالنصّ الأقصوصي الجزائري لاعتبارات موضوعية أهمّها الضرر الذي لحق بالنصّ الجزائري جراء الكتابة الدعائية، وانقطاع التّجربة الفنية التي ظهرت في الثمانينات من القرن الماضي بعد أحداث التسعينات الأليمة»[19]. كما اشتغل النّاقد على النّصوص القصصية القصيرة والقصيرة جدا، بتوظيف الخطاطات والترسيمات؛ لتوضيح آليات اشتغال النصّ القصصي، واستراتيجية تمحضره في الفضاء الإبداعي، التي تفرض الحدود التّمييزية الأجناسية المتفردة لجنس القصّة القصيرة والقصّة القصيرة جدا، والحدود الإقصائية التي تقصي بقية الأجناس السّردية الأخرى كالرّواية، وذلك بالاختزال السّردي الذي يعتبر المكوّن الأساس والجوهري للقصّة القصيرة بشقيها.إضافة إلى توظيف مهارة التّصنيف والتّبويب بتصميم جداول في الجانب الإحصائي للمنهج الموضوعاتي، وكذا الحقول الدلالية لتقريب الدلالة المقصودة من النصّ القصصي في المقاربة الثّقافية[20].

انكّب النّاقد على هذه النّصوص القصصية بتشغيل ترسانة من الأفكار والمفاهيم النّقدية، وبتطبيق شبكة علاقات ترابطية بين هذه الأفكار التي إحداثياتها مهارات التّفكير النّقدي، قام بتوزيعها على شكل "خوارزميات" تتفاعل بعضها ببعض وتتداعى بقوة العصف الذّهني[21]؛ أي إنّه يربط العناصر ببعضها ويستنتج في علاقات سببية(سبب/نتيجة) وعلاقات التّضاد والتّقابل، وعلاقات الجزء بالكل والعكس في

التّركيب والتّحليل، واستعمال تقنية التّبئير والتّكثيف والتّركيز، أي الاختزال في معالجة الفكرة العميقة (الجوهر). بالإضافة إلى توظيف المعلومة أو الفكرة المناسبة أي التّعضيد النصي في إثبات موقفه النّقدي، وتقديم الحجج الدامغة التي تخدم المقام.

اعتمد الأسلوب الحجاجي في معالجة القضايا النّقدية، وبهذا يكون قد حقّق الوجاهة الحجاجية والوجاهة في الطّرح والسّؤال، وتظهر كل هذه الآليات في المحمول النّقدي بشكل عام وخاصة في النّقد التّطبيقي الإجرائي ؛ ومثال ذلك يظهر في هذا المقطع على سبيل المثال:«...تحمل القصّة ثنائية التصادم بين الزعامة والمواطنة في شقّها التأويلي لتصل إلى حقيقة تاريخية، وهي نضج الوعي الجمعي في المجتمع الجزائري، وما الأحداث التّاريخية التي اخترقها القاصّ في متنه إلا تأكيد على ذلك، ومن ثمّة لا يرى القاصّ حلا لتجاوز واقع التشظي والتحاقد إلاّ بالبديل الإيجابي وهو المواطنة التي تضمن الانسجام الاجتماعي، وفي هذه التّرسيمة توضيح لذلك...»[22].

يمكننا استخراج الآليات الموظّفة من خلال هذا النصّ وتكمن في: التّحليل والاستدلال والحجاج والاستنتاج والاختزال والتّخطيط وحلّ المشكلات؛ وهو ما يوضح القدرة على التّفكير النّقدي عند النّاقد بتوظيفه مهارات: التّحليل والتّفسير والمقارنة والاستنتاج والحكم...، وهنا تتحقّق فرضية توظيف النّاقد لكل مهارات التّفكير النّقدي، وبشكل نوعي في نقده للنصوص القصصية المختارة. علاوة على هذا، فإنّ توظيف مهارات التّفكير النّقدي الدنيا والعليا طال كل النّصوص القصصية قيد الدّراسة، فنقده للنّصوص المختارة (شعرية الحافات)، أو تلك النّصوص الهامشية التي لم تأخذ حظها من الإعلام النّقدي؛ فلم يكن نقده سطحيا وإنّما أولاها عناية خاصة رغم عدم شهرتها. وكأننا به يود أن يثبت أنّ كلّ نصّ في حد ذاته كيان فريد من نوعه، وقصّة إنسان لابد من الخوض في مكنوناتها للكشف عن أسرارها التي لم يبح بها علنا، وإنّما تركها مفتوحة لتوقعات القارئ وتأويلاته الممكنة والمحتملة تارة، وبتحطيم أفق الانتظار والتوقع تارة أخرى وذلك في

منظومة ديناميكية مرنة بين الكاتب والقارئ. حيث اضطلع النّاقد بقراءة هذه النّصوص النّقدية وفق استراتيجية العمق والامتداد؛ أي إنّه يتوسع ويتعمّق في قراءة النصّ القصصي في آن واحد، بمهارة التّفكير المزدوج ثنائي الأبعاد وذلك في هذا الموضع الذي تم توضيحه في هذا المستوى، وفي مستويات أخرى، يظهر عنده التّفكير ثلاثي الأبعاد، ورباعي الأبعاد، وخماسي الأبعاد، يتجلى في اعتماد أكثر من مهارة من مهارات التّفكير النّقدي في وقت واحد خاصة في الجانب التّطبيقي[23]. وهذا كله يعود إلى خلفيته المعرفية الفذة التي يتمتع بها والتي تشكّلت بالتراكم المعرفي عبر فترات تكوينه الأكاديمي وتجربته النّقدية والإبداعية.

وفي الأخير اختبرنا مدى صحة الفرضيات فوجدنا أنّها تحقّقت كليا، وهذا ما يثبت حضور التّفكير النّقدي عند هذا النّاقد.

4-خاتمة: يتقدّم التّفكير النّقدي بوصفه مهارة عقلية فعّالة، وأداة أساسية لتحليل النّصوص وفهمها بعمق، خاصة عندما يتعلّق الأمر بكتاب نقدي كون اللّغة النّقدية غير اللّغة الإبداعية؛ فتطبيق مهارات التّفكير النّقدي يمكن القارئ من تجاوز السطحية إلى التّحليل العميق، والتّقييم الموضوعي للأفكار والحجج المطروحة، والكشف عن التحيّزات المحتملة لتبني مواقف موضوعية. توصلنا في الأخير إلى جملة من النتائج نذكرها فيما يلي:

-وفق النّاقد في اختيار المناهج والتحكم فيها أثناء مقاربته للنّصوص بما يتلاءم مع طبيعتها الأجناسية وسياقاتها المتنوعة.

-تمكّن النّاقد من استدلال نتائج مبنية على مقدمات وحجج منطقية.

-بنى النّاقد تحليله النّقدي على خريطة نقدية ذهنية ترتكز على صحة المقدّمات المنطقية، والاستدلال عليها بحجج قوية أدت إلى الموضوعية في إصدار الأحكام النّقدية، والاتصاف بها رغم استحالة وجود نصّ نقدي بريء تماما من التحيّزات الشّخصية، إلاّ أننا نلمس تحريه الموضوعية في مسار التّحليل.

-أسهم التّفكير النّقدي في تمييز الحجج القوية من الضعيفة في النّصوص القصصية والتميّز بالموضوعية بتقليل تأثير التحيّزات الذّاتية.

-عزّز التّفكير النّقدي فهم النّاقد للسياق التّاريخي والاجتماعي للنصّ القصصي مما أدى إلى تفسيرات واستنتاجات منطقية؛ وهذا راجع إلى المستوى المعرفي والممارسة النّقدية.

-أخفق النّاقد في مسح المنجز القصصي العربي رغم اتخاذه له رهانا في طرحه لمشروعه النّقدي؛ فنجده مغاربيا على سبيل المثال قد طبق على عدّة نماذج من الجزائر والمغرب وتونس وأقصى كليا ليبيا، وموريتانيا، والصحراء الغربية مع تركيز أكبر على النصّ الجزائري. ينطبق هذا كذلك على النصّ القصصي المشرقي، فالنّاقد يعاب عليه أنه لم يختر العينة بمعايير علمية دقيقة التي من بينها التكافؤ في الحضور والتّمثيل. إذ نلاحظ عدم التوازن في عدد نصوص المدوّنة التي طبق عليها وغياب تام لبعض البلدان؛ وكان من الأجدر اختيار مدوّنة متجانسة من حيث الحضور الجغرافي، كونه لا يتعارض مطلقا مع مفهوم الاختزالية التي تقتضي الانتقاء المتوازن، وهو ما أدى إلى نوع من الإخلال بالمعايير العلميّة والنّقدية المتعارف عليها وبالتّالي التحيّز للبلدان التي شمل التّحليل نصوصها.

-5- قائمة المراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية:

1. أرسطو، فن الشعر، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، 1973.
2. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقد)، دار صادر، بيروت، المجلد 3، ط2.
3. الدغمومي محمد، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1999.
4. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (نقد)، دار الحديث، القاهرة، 2008.

5. حمودة عبد العزيز، المرايا المحدبة- من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، 1998.

6. ولد يوسف مصطفى، في نقد متخيل الاختزال السردي (من القصة القصيرة إلى القصة القصيرة جدا)، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، (تيزي وزو- الجزائر: أكتوبر 2019)، ط1.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

7. DEWEY JOHN, How We Think, D.C. Heath &Co Publisher, Chicago –United States, 1910.

8 .ENNIS.R.H, Is Critical Thinking Culturaly based?, Teaching Philosophy, V21, Issue 1, March 1998.

9. FACION. PETER, Critical Thinking: A Statement of Expert Consensus for Purposes of Educational Assessment and Instruction (The Delphy Report), California Academic Press, USA, 1990.

10. GLASER, EDWARD M, An Experiment in the Development of Critical Thinking, Bureau of Publications, Teachers College, Colombia University, New York, 1941.

11. TODOROV. TODOROV, Critique de la critique: Un roman d'apprentissage, Edition Seuil, Paris, 1984.

6- الهوامش والإحالات

[1]-ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقد)، دار صادر، بيروت، المجلد 3، ط2، ص 425-426.

[2]-الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (نقد)، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص1240.

[3]- JOHN DEWEY, How We Think, D.C. Heath &Co Publisher, Chicago – United States, 1910, p 06.

[4]-ENNIS.R.H, Is Critical Thinking, Teaching Philosophy, V21, Issue 1, March 1998, p16.

[5]-أرسطو، فن الشعر، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص 71.

[6]-TZVETAN. TODOROV, Critique de la critique : Un roman d'apprentissage, Edition Seuil, Paris, 1984, P 11.

[7]–عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة–من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، 1998، ص23.

[8]–محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1999، ط1، ص61.

[9]–مصطفى ولد يوسف روائي وناقد جزائري له العديد من الأعمال الروائية والقصصية: أوجاع الخريف، غثيان الغائب، مدن الصحو والجنون، ليالي الذئاب القطبية، طفل في منتصف الشرود، في ضيافة القاعة الفارغة، محمية النفوس التائهة... والكتب النقدية: الذاكرة والدلالة في الرواية الجزائرية المعاصرة (المكتوبة بالعربية والأمازيغية والفرنسية)، أنظمة الخطاب الروائي (من سردية الرواية غلى روائية السرد)، في رحاب الجدل المتزن، مسائل الخطاب النقدي المعاصر...

[10]-GLASER, EDWARD M, An Experiment in the Development of Critical Thinking, Bureau of Publications, Teachers College, Colombia University, New York, 1941,P5.

[11]-FACION. PETER, Critical Thinking: A Statement of Expert Consensus for Purposes of Educational Assessment and Instruction (The Delphy Report), California Academic Press, USA, 1990, P13.

[12]– مصطفى ولد يوسف، في نقد متخيل الاختزال السردي (من القصة القصيرة إلى القصة القصيرة جدا)، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، (تيزي وزو– الجزائر: أكتوبر 2019)،ط1، ص 03.

[13]– المصدر نفسه، ص03

[14]–المصدر نفسه، ص 51–151.

[15]–ينظر المصدر نفسه، ص 142،129،125،111،106،99،98،96،95،94،88،85.

[16]–ينظر المصدر نفسه، ص 61–159،68–160.

[17]–ينظر المصدر نفسه، ص 80–89، 91–101، 105–112.

[18]–ينظر المصدر نفسه، ص113–123.

[19]–المصدر نفسه، ص 66.

[20]–المصدر نفسه، ص 142،129،106،99،98،96،88،46،31،30،26.

[21]–المصدر نفسه، ص 53–153.

[22]–المصدر نفسه، ص 96.

[23]–المصدر نفسه، ص 26–153.